الشيخ عمرو شرقاوي

اسم الدرس: معالم في طريق الإصلاح

تصنيف الدرس: دروس ومقاطع

عناصر الدرس

- عبرةٌ لأولي الألباب.....3
- قصة نعمة الطعام والشراب لقوم سبأ.....3
- قصة نعمة الأمن لقوم سبأ.....4
انتبه ! 4
- ظهر الفساد.....5
- عناصر النجاة والإصلاح 6
اولا : التوبة.....6
ثانيا الإصلاح.....9
إصلاح النفس 9
- ثاني أمر نُريد أن نصلحه:.....10
ثالثا :-.....11

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا منازع له. لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، منفرد بالخلق والإرادة، وحاكم جلَّ بما أراده، فمن يشأ وفقه بفضله، ومن يشأ أضله بعدله، فمنهم الشقي والسعيد، وذا مقربٌ وذا طريد، لحكمة بالغة قضاها، يستوجب الحمد على اقتضاها.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وحبيبه، إمام الأتقياء، وسيد الأنبياء، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكل دعوى نبوة بعده فغيٌّ وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالنور والهدى والحق والضياء، صلى عليه ربنا ومجدا، والآل والصحب دوامًا سرمدًا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[ال عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}[الأحزاب:71,70] .

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد أيها الكرام: فإن الله تعالى يقول: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۞} [سبأ:15-21]

- عبرةٌ لأولي الألباب

هذه قصة قوم ذكرها الله تعالى لنا في القرآن الكريم، والله تعالى يضرب الأمثال للناس وما يعقلها إلا العالمون، والله تعالى يقص علينا أحسن القصص في القرآن لنتخذ منه عبرة وعظة، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ}[يوسف:111] فالله تعالى يقص علينا هذا القصص في القرآن الكريم لكي نتدبره وننزله على واقعنا –على واقع هذه الأمة–، فالأيام أيها الكرام دول، والتاريخ كما يُقال يعيد بعضه، ما يحدث في هذه الأمة، حدث في الأمم التي سبقتها، والله تعالى ضرب لنا أمثلة الأمم السابقة لكي نعرف الحلول للمشاكل التي ستواجهها هذه الأمة.

- قصة نعمة الطعام والشراب لقوم سبأ

الله تعالى يقول: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ} علامة ونعمة وعظمة من الله تعالى، آية من الله تعالى لهم –لهؤلاء القوم؛ سبأ– وكانوا في اليمن {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ} مِن هذه الجنان التي أعطاها الله عز وجل لهم {كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}[سبأ:15] الله تعالى أنعم عليهم بنعمٍ كثيرة، أنعم عليهم بالطعام، وأنعم عليهم بالشراب، وأنعم عليهم بالأمن، لا يسافرون ليأتوا بأرزاقهم، كلا، بل كل ما يشتهي هؤلاء القوم يجدونه في هذه الجنان التي جعلها الله عزوجل عن يمين القرية وعن شمال القرية.

وطلب الله عز وجل منهم شيئًا، قال: {كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ} فنسب الله تعالى الرزق لنفسه سبحانه وتعالى، والله عز وجل هو الرزاق ذو القوة المتين سبحانه وتعالى {إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ}[الذاريات:58] ، {كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ} وشيء واحد فقط {وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}، قال الله تعالى: {فَأَعْرَضُوا}! **بعد هذه النعم كلها أعرضوا! فماذا فعل الله بهم؟**

{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} [سبأ:16] أرسل الله عليهم الماء، هدَّ الله سبحانه وتعالى السد، سلط الله عز وجل على السد الجرذ؛ الفئران، سلطها الله عزوجل على هذا السد فانهد السد فأخذ قرى قوم سبأ!

{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ}[سبأ:16] بدلهم الله بنباتات لا يطيقون أكلها! {ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا}[سبأ:17].

إذًا فمَا الذي حل بهذه الأمة؟ هل ظلمهم الله عزوجل؟! لا، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} [فصلت:46] , {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[الكهف:49] سبحانه وتعالى، إنما {ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا} قال الله: {وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}[سبأ:17] وفي قراءة أخرى متواترة {وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورَ} -بفتح الزاي-، هل يجازي الله سبحانه وتعالى قومًا إلا بسبب أفعالهم وما يفعلون من المصائب والبلايا! {وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}

- قصة نعمة الأمن لقوم سبأ

هذه نعمة الطعام والشراب، ثم بدل الله لهم آية أخرى؛ نعمة الأمن {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ}[سبأ:18] يعني يمشون من النهار إلى القيلولة فيجدون قرية، ويمشون من القيلولة إلى المساء فيجدون قرية، إذًا يبيتون في أمن.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} يعني مكة والأقصى -القدس- {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ:18] ماذا فعلوا؟

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}[سبأ:19] **لم يشكروا هذه النعمة أيضًا!**

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}! قال الله: {وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} فماذا حل بهم؟ {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}

انتبه !

{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}[سبأ:19-21].

نحن أيها الكرام في هذه البلدة المباركة مصر، أنعم الله تعالى علينا بنعمٍ عظيمة، رأيت ورأيتم معي ورأى الناس جميعًا ما حدث في ليبيا، ونجانا الله عزوجل، رأيت ورأيتم معي ورأى الناس جميعًا ماحدث في اليمن، ونجانا الله عز وجل. رأيت ورأيتم معي ورأى الناس جميعًا ما يحدث الآن في سوريا -نسأل الله عز وجل أن ينصرهم وأن يقف معهم وأن يؤازرهم، وأن يبطش بهذا الظالم الباطش الكافر الذي يسومهم سوء العذاب-، ترون الآن ما يحدث في سوريا ونجانا الله عز وجل.

- ظهر الفساد

هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى تستوجب الشكر، تستوجب أن يرجع الناس مرة أخرى إلى الدين، فإن الله تعالى يقول **{ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ}[الروم:41]** هذا بسببنا نحن {بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ} لماذا؟ {لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ}[الروم:41].

{لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} الفساد الذي كنا فيه بسببنا نحن! الله عز وجل يسلط الظالم على مثله {يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ}[البقرة:49]، لما سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه "ما حال أبي بكرٍ وعمر؟" كان العصر الذي فيه أبو بكر وعمر عصر رخاء وهناء، والناس كانت شبعانة وكانت آمنة، فواحدٌ يسأل سيدنا علي بن أبي طالب يقول له: انظر عصر أبي بكر وعمر وعصرك، عصرك فتن وحروب ومقتلة بين المسلمين، "فقال له علي بن أبي طالب: "كان أبو بكر وعمر أميرين على مثلي!" أنا كنت الشعب الذي يحكمه أبو بكر وعمر، "وأما أنا فأمير على مثلك"، قال له: أبو بكر وعمر كانا أميرين على ناسٍ مثلي –مثل علي بن أبي طالب–، وأما أنا فأمير على مثلك، وكما تكونوا يولى عليكم.

وقلت قديمًا: إذا أردنا واليًا كأبي بكر وعمر فلا بد أن نكون كعثمان وعلي، إنما الناس لم يتغير فيهم شيء، وكفروا بهذه النعمة التي أنعمها الله تعالى عليهم، فبدأت تظهر في مصر بوادر كفران النعم، {ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ}[سبأ:17]، أصبحنا نسمع عن خطف هنا وهناك، وطلب للفدية، أصبحنا نسمع عن سطوٍ مسلحٍ ، يسرقون البنوك، أصبحنا نسمع عن انتشار للمخدرات وتعاطيها في البلاد!

أصبحنا نسمع، ونسمع، ونسمع، ورأيتم ورأى الناس جميعًا ما حدث أول أمس يُقتل أكثر من سبعين نفس! ويصاب أكثر من خمسمائة نفس! لأجل ماذا؟ لأجل مباراة كرة قدم!

أنا هُنا يا عباد الله على هذا المنبر لستُ قناة الجزيرة، أريد أن أذيع الأخبار، لا، وإنما أود أن أضعكم في الحدث حتى ترو ماذا يحدث! أناسٌ كثيرون يقولون: وما شأننا؟ ما المشكلة؟! وواحد يقول: لا علاقة لنا، حتى لو قتلوا بعضهم بعضًا!

أقول لك: قال الله {وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}[الأنفال:25] .. ()

وأنتم ترون ما يحدث في البلاد، كانت بلادًا آمنة مطمئنة، فقلبها الله عز وجل خوفًا ورعبًا، وأصبح الناس لا يأمنون على أرواحهم ولا على أنفسهم! من الذي يستطيع السفر ليلًا اليوم؟ يقول لك: لماذا أسافر بالليل، يخرجوا عليّ ويضربوني، نحن كل يومٍ والآخر نسمع عن أحدٍ خرجوا عليه وضربوه، وحدث

وحدث وحدث..، أصبح الناس في رعب! قال الله عز وجل وهو يجسد هذه الحالة {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ} انتبه {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ }[النحل:112]

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا}[البقرة:148]، كل واحدٍ يقول أخبارًا على هواه، لكن أنا أوجه ندائي لك أنت، أنت ماذا ستفعل؟ ما الذي يجب عليك أن تفعله لكي تنجو من هذه الفتنة؟! النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن ((**في آخر الزمان قومًا يغزون الكعبة فيخسف الله بهم**))، ناس يذهبون لغزو الكعبة ((**فيخسف الله بهم فيهم صالحون وفيهم طالحون**)) فيهم ناسٌ ذاهبون للخير -للحج وللعمرة- وفيهم ناس ذاهبون للإفساد والفساد، ((**قالت عائشة: يا رسول الله يخسف بالصالح والطالح؟**)) كلهم مع بعض! ((**قال: نعم ويبعث كل واحد على نيته**))[1]، كل واحد فينا، أو كل واحد في هؤلاء القوم يبعث على نيته، إذًا أنت ماذا تفعل؟ الذي عليك.

الله عز وجل ذكر لنا قصة عاد وثمود {فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۞ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً}[فصلت:13,14] فدرج الله عز وجل بهم {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ}[فصلت:16-18].

- عناصر النجاة والإصلاح

إذًا أنت يا عبد الله، هناك واجب عليك أن تفعله، -وحتى لا أطيل عليكم- ثلاثة أشياء فقط:

اولا : التوبة

أنتم تعلمون القصة، كلنا حفظناها، سأقولها لكم مرةً أخرى: ((**خرج موسى عليه السلام يستسقي ب بني إسرائيل، أصابهم قحط لا يجدون ماءً، فخرج بهم موسى عليه السلام يطلب من الله السقيا**))، ي

[1]- يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ، يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ. قالَتْ: قُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، كيفَ يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ وفيهم أسْواقُهُمْ ومَن ليسَ منهمْ؟ قالَ: يُخْسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ علَى نِيَّاتِهِمْ.
الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري
الصفحة أو الرقم: 2118 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]
التخريج : أخرجه البخاري (2118)، ومسلم (2884)

طلب من الله الماء، فجعل موسى عليه السلام يدعو الله عز وجل، والشمس لا تزداد إلا حرًا، والسماء ل ا تزداد إلا صحوًا، السماءُ، الغيومُ التي فيها كلها تذهب والشمس حرها يزيد، فتوجه موسى إلى الله سبح انه وتعالى بالدعاء قال: يا رب أنا أدعوك! هؤلاء الناس جميعًا، هؤلاء الشيوخ الرُّكَّع، والبهائم الرُتَّع، والأط فال الرُضَّع، سوف يموتون جميعًا، سبعين ألف رجلٍ من بني إسرائيل، خرجوا يستسقون، **((قال: يا موس ى إن فيكم رجلًا يُبارزني بالمعصية منذ أربعين سنة))**، أي أن من بينكم رجلًا يعصيني منذ أربعين سنة، وهو في معصيةٍ دائمًا، **((وبسببِهِ مُنعتم القطر!))** أي: بسبب هذا الرَجُل لا تُمطر السماء. **((فمُره أن ي خرج من بينكم))**، اجعله يخرج، **((فقام موسى خطيبًا في بني إسرائيل، وقال: يا بني إسرائيل إن فيكم رجلًا يُبارز الله عز وجل بالمعاصي منذ أربعين سنة، فليَخرُج حتى تُمطر السماء))** الناس جميعهم سيمو تون! وبالطبع الرَجُل يعرف نفسه، يلتفت يمينًا ويسارًا، فلم يخرج أحد، وهو يعرف نفسه، **((فغطى رأسه بثوبٍ وقال: يا رب عَصيتُك منذ أربعين سنة وأنا الآن أتوب إليك))**، فقط!

وأنا الآن أتوب إليك! لكن هذا الرجل يقولها من قلبه، وفوجئ موسى عليه السلام أن المطر ينزل، فماذا حدث؟! لم يخرج أحد، والمطر ينزل، **((فقال موسى لله –عز وجل–: يا رب المطرُ ينزل ولم يخرج أحد! فقال الله تعالى: إني سَقيتكم بالذي منعتكم من أجله!))** أي أن الرجل الذي مُنع المطر بسبب معصيته هو نفسه الذي أُنزل المطر لأجله، **((فقال موسى عليه السلام لله تبارك وتعالى: يا رب عرفني بهذا الر جل))**. أُريد أن أعرفه، فقال: **((يا موسى إنه يعصيني منذ أربعين سنة ولم أفضحه، أفأفضحه وقد تاب إلي؟!))**[2]

[2] - ((رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحطٌ على عهد النبي موسى عليه السلام, فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله، ادعُ لنا الله أن يسقينا الغيث, فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيدون, فقال موسى عليه السلام: إلهي، أسقنا غيثك, وانشرْ علينا رحمتك, وارحمنا بالأطفال الرُضَّع, والبهائم الرتع, والشيوخ الركع, فما زادت السَّماء إلا تقشعًا, والشمس إلا حرارة، فتعجب النبي موسى عليه السلام, وسأل ربَّه عن ذلك, فأوحى الله إليه: إنَّ فيكم عبدًا يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة، فنادِ في الناس حتى يخرج من بين أظهركم, فبه منعتكم، فقال موسى: إلهي وسيدي، أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، ومنا البلاغ, فقام النبي موسى مناديًا: يا أيها العبد العاصي، الذي يبارز الله بالمعاصي، منذ أربعين سَنة, اخرُجْ من بين أظهرنا؛ فبِكَ مُنعنا المطر, فنظر العبد العاصي ذات اليمين وذات الشمال, فلم يرَ أحدًا خرج منهم, فعلم أنه المطلوب, فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخَلق فَضَحتُ نفسي، وإن قعدت معهم مُنعوا لأجلي, فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فِعاله، وقال: إلهي وسيدي، عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني، وقد أتيتك طائعًا فاقبلني, فلم يستتم كلامه حتى ارتفعت سحابة بيضاء, فأمطرت كأفواه القِرَب, فقال موسى: إلهي وسيدي، بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال الله: يا موسى, سقيتكم بالذي منعتكم! فقال موسى: إلهي, أرني هذا العبد الطائع, فقال الله: يا موسى, لم أفضحْه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟!)).

الدرجة: لا يصح، وهو من قصص الوعَّاظ

انظر إلى رحمة الله سبحانه وتعالى! لذلك الله عز وجل يدعوك ويناديك، يقول: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [النور: ٣١] بل انظر إلى هذا الخطاب: {قُلۡ يَٰعِبَادِيَ} انظر، الله عز وجل يأمر النبي ﷺ يقول: قل يا محمد لهم، الله يقول لكم {**قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ**}**[الزمر:53-55]** إلى آخر الآيات.

أختم هذه الخطبة بموقف، أنتم أيضًا تعرفونه جيدًا، موقف امرأة -نعوذ بالله عز وجل- حرفتها -المهنة التي تشتغل بها- الزنا -نعوذ بالله- نسأل الله أن يستر علينا وعلى أعراض المسلمين، وأن يَقيَنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

تخيل أن هناك امرأة حرفتها هكذا! والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة، وكلكم يعرف الحديث، هذه المرأة البَغي من بغايا بني إسرائيل، كانت تسير في الصحراء، شعرت بالعطش، فنزلت إلى بئر، وكان البئر فيه سلالم، فَتعبت المرأة عندما نزلت إلى البئر لِتشرب، وعندما خرجت من البئر ((وجدت كلبًا يلهث الثَرى من العطش)) -كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ- فماذا فعلت هذه المرأة؟ ((نزعت مُوقها)) خُفها، -أكرمكم الله- الحذاء الذي تلبسه، خلعت حِذائها الذي ترتَديه ثم نزلت في البئر، وملأت الحذاء بالماء وخرجت ((فسقت الكلب))، أليس هذا عملٌ بسيط؟ عمل بسيط، انظر بماذا جزاها الله؟ قال النبي ﷺ: ((**فشكر اللهَ لها فَغَفَرَ لها**))[3] أي أن الله هو الذي شكر لهذه المرأة هذا الصنيع، فغَفَرَ لها؛ هناك رواية أُخرى أشد، الرواية الثانية تقول: ((فشكر اللهَ لَهَا، فغفر لها)) هل تعلم معنى هذه الرواية؟! أي أن الكلب دعا الله فقال: يا رب اغفر لهذه المرأة فغَفَرَ الله لها! يقول علماؤنا: إذا كانت الرحمةُ بالكلاب تغفر الخطايا للبَغايا، فكيف تفعل الرحمةُ بمن وحد رب البرايا! سبحان الله تعالى رحمة بكلب!

[3] - بَيْنَا كَلْبٌ يُطِيفُ بَرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لها به.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 3467 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (3467)، ومسلم (2245)

ثانيا الإصلاح

إصلاح النفس

بالتأكيد أيها الكرام كل الناس مُستاؤون مما يحدث، لكن ما الذي فعلته أنت لتغيّر هذا الواقع؟! الله عز وجل قال في القرآن في آيةٍ أيضًا كلنا نحفظها -لماذا أقول كثيرًا كلنا نحفظها، وكلنا نعرفها؟ بالفعل كلنا نعرفها-، لكن ينقصنا شيء واحد فقط، ما هو؟ التطبيق! العمل، أن تعمل، أن تُنتج! فقط هذا الذي ينقصنا.

الآية التي نحفظها ونُرددها ونسمعها دائمًا؛ {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ}[الرعد:11] فقط! {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ} أي أن الله لا يُغير؛ مصيبةً، بلاءً،عقوبةً أنزلها على قومٍ حتى يُغيروا (ما) أي ذنبًا، معصيةً مبارزةً لله تبارك وتعالى وقوفًا في وجه حدود الله تبارك وتعالى {حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ}[الرعد:11] سبحانه وتعالى.

هل تعرفون الرجل الذي أحدث نهضة الهند، يُسمى غاندي، مشهور، هذا الرجل الكافر الذي كان يعبدُ بقرة! -هذا الرجل ماذا كان يعبد؟- كان يعبد بقرة، قال كلمة نحن نعرفها قبله، نحن نعرفها قبل أن يُولد أصلًا، ماذا قال غاندي؟

قال: "إذا أردت أن تُغير شيئًا فكنه أولًا" إذا أردت الناس تُصلي بشكل صحيح، إذًا صَلِّ أنت أولًا بشكل صحيح، أردت أن يترك الناس الغش، اتركه أنت أولًا، أردت أن يترك الناس السرقة، اتركها أنت أولًا، أردت أن ينصلح حال الناس، أصلح حالك أنت أولًا.

هكذا يا عبد الله ابدأ بنفسك،

قال الله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ}، أولًا أنفسكم، {وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ}[التحريم:6] ، {إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۞ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۞ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا}[مريم:93-95].

ابدأ بنفسك فأصلحها، انظر إلى الفساد الذي بينك وبين الله، والفساد الذي بينك وبين الناس، فسدد وقارب كما قال النبي ﷺ: ((**ما نَهَيْتُكُمْ عنه فَاجْتَنِبُوهُ، وما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما**

أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِم))[4] ، فابدأ أنت يا عبد الله بإصلاح نفسك، وإصلاح أهلك تجد بإذن الله أن المجتمع بدأ يَصلُح.

– ثاني أمر نُريد أن نصلحه:

سلامةُ المعتقد، تصحيحُ العبادة، تزكيةُ النفس؛

أن يكون اعتقادك سليمًا، فلا يصح أن تفتح الجريدة وتنظر لـ (برجك اليوم)، هذا شرك بالله سبحانه وتع الى، إذًا فلا تخف من غير الله، ولا تتوكل على غير الله، لا تدعُ لغير الله، لا تذبح لغير الله، لا تنذر لغير ا لله، فلا يكن في قلبك خوف، ولا خشية ولا إنابة، ولا خضوع، ولا توكل، ولا أي عبادة إلا لله

سلامة المعتقد. {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ}[الأنعام:163,162]

تصحيح العبادة، {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ}[فصلت: 6]، وفي الآية الأُخرى الله عز وجل يقول: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[هود:7] قيل للفُضيل: "ما أحسن العمل؟" قال: "أصوبه وأخلصه"، أصوبه أن يكون موافقاً للسُنة، أخلصه أن يكون خالصًا لله.

إذًا قلنا سلامة المعتقد، وتصحيحُ العبادة، وثالث أمر:

تزكيةُ النفس: أن تكون نفسك طاهرة، أن يكون قلبك الذي سُتلاقي الله عز وجل به سليمًا، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الشعراء:89,88]

أُريد أن أسألك، هل قلبك سليم أم لا؟

إذا تعب قلبك قليلًا –أي تعب حسي– فأنت تدرك ذلك، وتذهب إلى أفضل طبيب، وإذا مَرِضَ جسدك، أيضًا تعرف وتذهب إلى أفضل طبيب، فيا تُرى إذا مَرِضَ قلب الإنسان –قلبه: الإيمان– قلبه الذي سيُلاقي الله عز وجل به، هذا الجسد كله سيَفنى ويعيده الله {ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ}

[4] - أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ، فإنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ. [وفي رواية]: ذَرُونِي ما تَرَكْتُكُمْ. وفي حَدِيثِ هَمَّامٍ: ما تُرِكْتُمْ، فإنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ ثُمَّ ذَكَرُوا نَحْوَ: حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عن سَعِيدٍ وَأَبِي سَلَمَةَ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : 1337 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

[المؤمنون:14] سيُعيده الله عز وجل خلقًا آخر! فهل إذا مَرِضَ قلبك الذي ستُلاقي الله عز وجل به ستَعرف أم لا؟! فإذا عرفت أن القلب به مرض، فكيف ستُعالجه؟ هذا أمر لابد منه يا عباد الله.

ثلاثة أشياء يجب أن تُصلحهم، ابدأ بنفسك بثلاثة أشياء، سلامةُ المعتقد، تصحيح العبادة، تزكيةُ النفس.

ثالثا :-

العنصر الثالث والأخير، ثالث عنصر وآخر عنصر أختم به،

أن تحمل هم الإسلام،

هذا الدين لم يصل لك بسهولة، هناك ناس سبحان الله تجدهم نشيطين في المعصية، وكسولين في الطاعة، يستيقظ في الصباح مبكرًا من أجل موعد أو غيره، ثم يأتي آخر شخص في صلاة الجمعة! أو تجده يستيقظ متأخرًا، أو يجمع بين صلاتين، أو يجمع الخمس صلواتٍ مرة واحدة، بهذه الصورة يعبد الله عز وجل! يُأخِر الزكاة، لكن في أي شيء آخر تجده مُبادرًا سريعًا!

نحن نُريد أن يحدث العكس. فإن الدين لم يصل إليك بسهولة، النبي ﷺ وهو خيرُ من وطئَ الثرى بقدمهِ، الرسول الأكرم والنبي الأعظم شُجَّ رأسه عليه الصلاة والسلام ودخلت حلقات المغفر في وجهه الشريف، وكُسرت رباعيته، وجُحِشت ركبته، وقُتل سبعين من أصحابه، وقُتل أقرب الناس إليه، كل هذا من أجل أن يصل إليك هذا الدين.

الصحابة ماتوا في البلدان، والأئمة تعذبوا وذاقوا الأمَرَّيْن، كل هذا من أجل أن يصل إليك هذا الدين! سيدنا أبو ذر سأل النبي ﷺ، **قال يارسول الله: ماذا أفعل؟ أنا لا أستطيع أن أفعل شئ، فقال له: ((يا أبا ذر)) –في آخر الأمر– أمر بسيط، ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ))**[5] فقط.انظر! العمل البسيط أن تكُف أذاك عن الناس، اترك معصية، افعل طاعة، جدد من حياتك.

الشباب الذين انتشر بينهم –بكل أسف– تعاطي المخدرات وتناقل الصور، ومشاهدة الأفلام، لابد أن تعلموا يا عباد الله أن هذا الدين انتصر على أيدي شباب: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بربهم}[الكهف:13],

[5] - قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ الأعْمالِ أفْضَلُ؟ قالَ: الإيمانُ باللَّهِ والْجِهادُ في سَبيلِهِ قالَ: قُلتُ: أيُّ الرِّقابِ أفْضَلُ؟ قالَ: أنْفَسُها عِنْدَ أهْلِها وأَكْثَرُها ثَمَنًا قالَ: قُلتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قالَ: تُعِينُ صانِعًا، أوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عن بَعْضِ العَمَلِ؟ قالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فإنَّها صَدَقَةٌ مِنْكَ علَى نَفْسِكَ. وفي روايةٍ: فَتُعِينُ الصَّانِعَ، أوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ.
الراوي : أبو ذر الغفاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم : 84 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] | التخريج : أخرجه البخاري (2518)، ومسلم (84).

{قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ}[الأنبياء:60] ، علي بن أبي طالب أسلم وهو عنده كم سنة؟! وسعد بن معاذ سيد العلماء أسلم وهو ١٨ سنة، ومات وهو ٢٣ سنة! وهكذا الصحابة، وهكذا الأئمة، وهكذا العلماء، وهكذا المصلحون، لا يقوم الدين إلا على أيدي الشباب! فلماذا يا عبد الله تضيع نفسك؟! لماذا تضيع نفسك وحياتك؟ لماذا لا تُقبلُ على الله، وتَحمل هم هذا الدين؟

إذًا يا عباد الله لو تُريدون فعلاً إصلاح، أمامكم ثلاثة أشياء:

- **توبةٌ عامة؛ أن نتوب جميعًا.**
- **ابدأ بنفسك.**
- **احمل همَّ هذا الدين.**

بهذا إن شاء الله تعالى، إذا طبقنا بالفعل ولم نستمع فقط إلى الخطب وبدأنا بالفعل نعمل، وإلا {وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ}[هود:122]، {وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}[الأنفال:25]، {ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ}[الروم:41]، {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ}[الرعد:11] هذه الثلاث آيات تفكر فيها جيدًا، تأمل فيها جيدًا؛ فإنها سبيل النجاة.

نسأل الله عز وجل أن يُلبسنا لباس الأمن، وأن يُنزل على بلدنا الأمن والأمان والرخاء والسخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أمِّنا في أوطاننا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا في سوريا يا رب العالمين، اللهم أيدهم بنصرك يا رب العالمين، اللهم عليك بالظالم الذي يسومهم سوء العذاب، اللهم عليك به وبجندهِ وأعوانه يا رب العالمين، اللهم زلزل أركانه وخذه أخذ عزيز مقتدر، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم انصر إخواننا في الشيشان، اللهم انصر إخواننا في أفغانستان، اللهم انصر المسلمين في كل مكان يا رب العالمين.

اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رشد يُذل به أهل معصيتك، ويعز فيه أهل طاعتك، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر. اللهم أنزل على مصر السخاء والرخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم اجعلها بلدًا آمنا مطمئنًا يا رب العالمين. اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم إن أردت بقومٍ

فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم اغفر لنا هزلنا وجِدنا وخطأنا وعمدنا وكل ذلك عندنا، وأقم الصلاة.